كتاب العدد

الصحة النفسية للطفل والمراهق

أعد المراجعة
أ. د. كمال ابراهيم مرسي

أستاذ الصحة النفسية - كلية التربية
جامعة الكويت

كتاب الصحة النفسية للطفل والمراهق، من تأليف د. محمد زيعور ومن منشورات مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر بلبنان ويقع في ٢٢٤ صفحة.

حدد المؤلف هدف الكتاب في دراسة الطفل اللاسوي لبيان خصائصه الجسمية والنفسية والاجتماعية ومقارنته بالطفل الطبيعي (أو السوي) لتوضيح الأسباب التي جعلت هذا لا سوي وذاك سوي، وإبراز حاجات كل من الطفل السوي واللاسوي ومطالب نموه في الطفولة والمراهقة.

وقسم المؤلف كتابة إلى قسمين رئيسيين: تناول الأول "**نفسانية المعوق مفهوم التعامل مع مشكلته**" وتناول في القسم الثاني "**الصحة النفسية والعلائقية للمراهق من خلال مفاهيم الانحراف والجنوح والتشرد**" وعندما نربط بين قسمي الكتاب وعنوانه نجد أن المؤلف جعل الإعاقة أهم مشكلات الطفولة، وجعل الانحراف والتشرد أهم مشكلات المراهقة. ونحاول عرض الأفكار الرئيسية في كل قسم ثم تعقيبنا على الكتاب.

القسم الأول

نفسانية المعوق ومفهوم التعامل مع مشكلته

تناول المؤلف في هذا القسم بعض تعريفات "غير عادي" والتي تشير في معظمها إلى أن الطفل غير العادي هو الذي يختلف عن الطفل العادي في خصائصه العقلية أو الحسية أو الانفعالية أو السلوكية أو الكلامية إلى الحد الذي يحتاج فيه إلى تعديل في الخبرات التعليمية بهدف تحقيق أقصى حد من النمو لهذا الطفل.

أما تعريف التربية الخاصة فهي كما يقول سميث "ذلك المجال الذي يهتم بتنظيم المتغيرات التعليمية التي تؤدي إلى الوقاية أو خفض أو تجنب الظروف التي ينتج عنها قصور في الأداء الوظيفي للأطفال في المجالات الأكاديمية والتواصلية والحركية والتوافقية".

وعندما نربط بين عنوان هذا القسم من الكتاب وتعريفات غير العادي والتربية الخاصة نلمس أن المؤلف قد أخذ المعاق وكأنه مرادف لغير العادي ونحن لا نتفق معه في هذا التوجه لأن "غير العاديين" تشمل فئات المعاقين وفئات المتفوقين أو الموهوبين ويطلق عليهم ذوو الاحتياجات الخاصة. ويعرف المعاقون بأنهم الذين يعانون من إعاقة جسمية أو حسية أو حركية أو عقلية أو انفعالية أو سلوكية إلى الحد الذي يحتاجون فيه إلى طرق وبرامج خاصة في التعليم والتأهيل والرعاية بهدف إعدادهم مواطنين صالحين لأنفسهم وأسرهم ومجتمعهم ومساعدتهم على ا لاندماج مع غير المعاقين وعلى ممارسة الحياة الطبيعية في الرشد.

أساليب رعاية المعاقين:

ويشير المؤلف إلى عدة أساليب في رعاية المعاقين حددها رونالدز في:

١- رعاية الطفل المعاق في الفصل العادي عن طريق المعلم أو الاختصاصي الزائر مع توفير غرفة للمصادر.

٢- رعاية المعاق في فصل خاص في المدرسة العادية.

٣- رعاية المعاق في مدارس خاصة أو مدارس داخلية.

٤- رعاية المعاق في المستشفى أو المنزل وفق حالته عن طريق الاختصاصي الزائر.

تصنيف المعاقين:

ويصنف المؤلف المعاقين إلى عدة فئات من أهمها:

أ- فئات مشكلات التعلم: وتشمل التخلف العقلي وصعوبات التعلم.

ب- فئات مشكلات التوافق: وتشمل الاضطرابات الانفعالية والنشاط الحركي الزائد وسوء التوافق.

ج- فئات المشكلات الحسية: وتشمل كف البصر والصمم.

د- فئات مشكلات التواصل: وتشمل صعوبات النطق والكلام.

هـ- فئات مشكلات الحركة: وتشمل الشلل وإصابات الدماغ.

أسباب الإعاقة:

وتناول المؤلف أسباب الإعاقة بشكل عام وقسمها إلى قسمين: **أسباب وراثية أو فطرية** سماها "المشكلات الصحية والطبية المسببة للإعاقة عند الطفل" وتشمل الجينات والكروموسومات وما يصيبها من خلل. **وأسباب بيئية** تحدث قبل وبعد الولادة وتشمل الأمراض التي تصيب الأم الحامل وتعرضها للأشعات وسوء التغذية وما يتعرض له الطفل من أمراض أو إصابات وحوادث وحرمان وغيرها.

وقد ناقش المؤلف الظروف السيكولوجية والسو سيولوجية المساعدة على الانحراف عند الطفل وأشار إلى أربعة توجهات أساسية هي: النمائية والحتمية والبيئية والتفاعلية وانتهى إلى أن عوامل القصور في النمو محصلة التفاعل بين الوراثة والبيئة فالنمو كما يقول جوردون "نتاج تدريجي متجمع متفاعل ومستمر بين البيئة والوراثة".

القياس والتقويم (أو التشخيص):

تناول المؤلف هذا الموضوع تحت عنوان "**تقدير المتغيرات النفسية للطفل غير الطبيعي**" وأشار إلى أن التقويم يشمل الطفل غير العادي والوسط الذي يعيش فيه لتحديد قدراته واستعداداته، وظروف البيئة التي يتعامل معها، وكيفية التعامل معه. فالتقويم وسيلة وليس غاية لأن تقويم الطفل يهدف إلى اتخاذ القرار النهائي المتعلق بتحديد البرنامج الدراسي المناسب له وكيفية تقديمه وكيفية التوفيق بين الطفل وحاجاته ومطالب نموه من ناحية وبين متغيرات الوسط الذي يعيش فيه من ناحية أخرى حتى يمكن بناء البرنامج الدراسي والعلاجي والتأهيلي المناسب له.

وتحت عنوان "**البحث في ركائز التقدير أو التقييم النفسي- التربوي**" أشار المؤلف إلى تفسير السلوك بعوامل داخلية ترجع إلى الطفل المعاق وعوامل خارجية ترجع إلى بيئة الطفل في البيت والمدرسة، بعض هذه العوامل يمكن قياسه ويتعذر قياس البعض الآخر. وعلى الأخصائي تحديد هذه العوامل والسلوكيات المرتبطة بها وتدعيم السلوكيات المقبولة وعلاج السلوكيات غير المقبولة فسلوك المعاق كما يقول كواي ينتج عن جدلية تفاعل مع البيئة لذا يجب أن تقوم عملية التقويم على عوامل حقيقية واقعية مرتبطة بالطفل والوسط الذي يعيش فيه.

وتحت عنوان "**الإيضاحات حول أدوات ووسائل التقدير للطفل**" أشار المؤلف إلى أهمية الأدوات التي يستخدمها الأخصائي في تقويم الطفل من روائز (اختبارات) وملاحظات

ومقابلات وضرورة توافر شروط القياس الجيد فيها من ثبات وصدق وموضوعية.

وضع البرامج التعليمية للمعاقين:

تناول المؤلف هذا الموضوع تحت عنوانين رئيسيين هما "**المشكلات النفسية الحادة للإعاقة البدنية والوظيفاتية**" و"**الأسس في تصنيف المتغيرات التعلمية للأطفال غير الطبيعيين**" أشار تحتهما إلى أن التصنيف الطبي للمعاقين لا يفيد كثيراً في العملية التربوية وفي تحديد البرنامج التعليمي لكل معاق وهذا ما دفعه إلى عرض بعض الأسس التي يقوم عليها تصنيف الأطفال اللاسويين والمدروسة من قبل جهابزة في حقل التربية الخاصة منهم إسكو وباين وستيفنز وكواي وخلاصة آرائهم تدور حول وضع برنامج لتعليم المعاقين على أساس قدراتهم العقلية والحاسية مع مراعاة ما لديهم من قصور أو وهن أو ضعف ومحاولة مساعدتهم في التغلب عليها.

البعد العائلي:

ومما لا شك فيه أن قدوم طفل معاق في الأسرة يسبب صدمة نفسية للوالدين فيعيشان في قلق واضطراب وشعور بالذنب وقد يلجآن إلى السلوكيات الدفاعية أو الحيل النفسية الدفاعية التي فيها خداع للذات وخداع وتشويش للواقع، ومع أن جميع الأهل يستجيبون بالحزن والأسى عندما يفاجأون بولادة طفل معاق فإن استجاباتهم لهذه الصدمة يختلف من شخص إلى آخر على وفق شخصية كل منهم وأساليبه الدفاعية فقد يحس بعض الآباء بالصدمة في البداية ثم يتقبلون الأمر الواقع، ويتابعون الإرشادات الخاصة بأبنائهم ويحاولون اقتناص المعلومات المفيدة في رعاية وعلاج وتربية أبنائهم وقد يحس البعض الآخر بالصدمة ويجد صعوبة في قبول الأمر الواقع. من هنا كان من الضروري توفير الإرشاد النفسي للمعاقين وأولياء أمورهم لمساعدتهم على تحمل الصدمة وقبول الأمر الواقع حتى يكونوا قادرين على عمل ما يفيد أبناءهم.

كما تناول المؤلف موضوع العلاقة بين الإعاقات البدنية والسلوك تحت عنوان "**ديناميات التعاطي الأهلي وأثره على الطفل غير العادي**" وانتهى إلى أن سلوك المعاق بدنياً ليس نتيجة مباشرة للإعاقة وإنما هو نتاج تفاعل المعاق مع البيئة وتعامل الأهل والمعلمين معه ونظرتهم إلى الإعاقة. ولكي نخفف من تأثير الإعاقة البدنية على المعاق (أو ما يسميه المؤلف تخفيض درجة الانحراف ذاته والتقليل من درجة وضوحه) فإن على الآباء والمعلمين توفير ثلاثة أمور هامة هي توفير الخبرات الجيدة، وتقديم التعليم التعويضي، وتوفير الوسائل التعويضية. هذا بالإضافة إلى تحسين الظروف البيئية التي يعيش فيها المعاق.

وقدم المؤلف توجيهات طيبة لآباء وأمهات المعاقين تحت عنوان "**توضيحات في نمو الطفل الطبيعي وغير الطبيعي وإرشادات هامة للأهل**".

القسم الثاني

الصحة النفسية والعلائقية للمراهق

من خلال مفاهيم الانحراف والجنوح والتشرد

ناقش المؤلف في القسم الثاني من كتابه مفاهيم الجناح والانحراف والتشرد من ثلاث زوايا هي: البيولوجية والنفسية والاجتماعية. وتناول العوامل البيولوجية للجناح تحت عنوان "**المظهر البيولوجي أو البدني في دراسة السلوك المنحرف**" وأشار إلى أن المنحرف وفق النظرية البيولوجية في تفسير الجريمة يُكوّن نمطاً خاصاً يتصف بسمات مرفولوجية نفسانية أو مزاجية أسماها لمبروزو بالوصمات الانحرافية التي تحد شخصية الإنسان من خلال مورفولوجية الجمجمة، واعتبار التضاريس والنتوءات في شكل الرأس هي التي تحدد السلوك.

كما ناقش المؤلف دور الغدد الصماء وخلل الكروموسومات خاصة كروموسومات الجنس التي وجدت عند الجانحين XYY بدلاً من XY عند الشخص العادي.

أما العوامل النفسية للجناح فقد ناقشها المؤلف تحت عنوان "**تفسير الطب العقلي**" الذي أرجع كل سلوك انحرافي إلى التفاعل بين شخصية الفرد والظروف البيئية التي يعيش فيها. وقارن بين العصاب والجناح وأشار إلى أن العدوانية في الجناح تتجه إلى الخارج، أما في العصاب فتتجه إلى الداخل.

كما ناقش المؤلف علاقة الجناح بالاضطراب العقلي والصرع والهستيريا والتخلف العقلي وجنون العظمة والشذوذ الجنسي. ثم تناول تفسير علماء التحليل للجناح الذين أرجعوه إلى خلل في علاقة الطفل بأمه والتي تمتد إلى علاقة الطفل بأبيه وإلى علاقته باخوانه. يضاف إلى هذا اضطراب عمليات فطام الطفل وخلل تنظيم الإخراج. وانتهي علماء التحليل النفسي - مع فروق بينهم - إلى أن حرمان الطفل من أمه له نتائج خطيرة على تكوين شخصيته وتكوين السلوك العدواني ونمو الوازع الأخلاقي. فإذا لم يتهيأ للطفل عائلة متوازنة تصبح بنيته عدوانية تجعله مهيأ للجناح والانحراف.

أما العوامل الاجتماعية في الجناح فقد ناقشها المؤلف تحت عنوان "**التفكك العائلي**" الذي اعتبره هنري جوبريل نتيجة الحضارة الجديدة التي أدت إلى استقلال وتحرير المرأة ونزولها إلى العمل والذي قاد إلى إهمال الأطفال وانحرافهم أو جعلهم مهيئين للانحراف يضاف إلى هذا اضطراب العلاقة بين الوالدين وما ينتج عنها من انفصال وطلاق وتصدع وتفكك عائلي وضعف في الضبط الاجتماعي، وحرمان للطفل وإحباط وإهمال، مما يجعله معرضا للجناح في الطفولة والمراهقة والرشد. هذا بالإضافة إلى العوامل المدرسية وخبرات الفشل في التحصيل الدراسي واضطراب علاقة الطفل بمعلميه وأقرانه والصحبة السيئة

ووسائل الإعلام والحروب والأزمات الاقتصادية وغيرها من العوامل التي تؤدي إلى الجناح والإنحراف والتشرد.

التعقيب على الكتاب

عنوان الكتاب "الصحة النفسية للطفل والمراهق" عنوان جديد في اللغة العربية والمكتبة العربية في حاجة كبيرة إليه وسوف يستفيد منه طلاب كلية التربية وبخاصة في أقسام رياض الأطفال أو كليات رياض الأطفال. وقد احتوى الكتاب معلومات كثيرة في مجالات الإعاقة والجناح. ومع هذا فإن لنا بعض الملاحظات التي نأمل أن يأخذ بها المؤلف عند تفكيره في إصدار طبعة ثانية للكتاب من هذه الملاحظات الآتية:

١- عنوان الكتاب "الصحة النفسية للطفل والمراهق" ومحتوى الكتاب عن المعاقين والجانحين مما جعل العنوان لا ينطبق على المحتوى. فليس كل الأطفال معاقين، ولا كل المراهقين جانحين، وليس كل المعاقين أطفالاً، وليس كل الجانحين مراهقين. ونقترح أن يكون عنوان الكتاب "الصحة النفسية للمعاقين والجانحين".

٢- تناول الكتاب "الصحة النفسية" بمفهومها السلبي الذي ربط علم النفس بالانحرافات والشذوذ والإعاقات والاضطرابات العقلية والعقد النفسية. أما الآن فقد خرج علم النفس من هذه النظرة المرضية وغدت الصحة النفسية بمفهومها الإيجابي تشمل العاديين وغير العاديين من خلال تحقيق أهدافها الثلاثة في التنمية والوقاية والعلاج. كنا نتوقع أن يتناول "كتاب الصحة للطفل والمراهق" تنمية الأطفال والمراهقين ووقايتهم وعلاج مشاكلهم التي منها الإعاقة والجناح.

٣- معلومات الكتاب عن المعاقين والجانحين في حاجة إلى تحديث. فالمراجع التي رجع إليها المؤلف صدرت في الستينات والسبعينات من القرن العشرين. وقد شهدت الثمانينات والتسعينات تطوراً كبيراً وظهرت مفاهيم لم يتعرض لها الكتاب بالقدر المناسب منها التدخل المبكر ودمج المعاقين في المجتمع، والحياة الطبيعية للمعاقين وقد ترتب على عدم رجوع المؤلف إلى المراجع الحديثة أن صنف المتخلفين عقلياً إلى البليد والأحمق والأبله والمعتوه، وهي مصطلحات قديمة اكتسبت مضامين اجتماعية غير مقبولة وقد تخلى عنها المتخصصون في هذا المجال (ص١٣١ و١٣٢ و١٣٤ و١٧٦).

كما أنه أشار إلى أن "العلم لم يعرف كل الدوافع والأسباب التي تقود إلى التخلف العقلي كالمنغولية مثلاً" (ص١٣٢) وقد تحول المتخصصون في المراجع الحديثة عن مصطلح المنغولية إلى مصطلح عرض الداون DOWN SYNDROME وأصبح معروفاً الآن أن سبب هذه الحالة خلل في كروموسوم ٢٣ أو ما يسمى (ثلاثي ٢٣).

٤- الكتاب في حاجة إلى إعادة تبويب، وتقسيم الأبواب إلى فصول، والفصول إلى مباحث أو موضوعات وعناصر متسلسلة ومترابطة، مما يساعد على تنظيم المعلومات وتسلسل الأفكار وترابطها.

٥- إعادة النظر في المصطلحات الخاصة بالإعاقة والجناح. فمن الملاحظ أن المؤلف استخدم في مجال الإعاقة: غير السوي وغير الطبيعي وغير العادي واللاسوي والمعاق وكأنها مترادفات أحياناً وغير مترادفة أحياناً أخرى كما أنه استخدم الانحراف والجناح والتشرد ولم يعرفها أو يوضح الفرق بينها واستخدم المنحرف مرادفاً للجانح ونحن لا نتفق معه في ذلك لأن الجانح هو حديث السن الذي يرتكب فعلاً إجرامياً يعاقب عليه القانون أو الشريعة والمنحرف هو كل شخص يسلك سلوكيات منحرفة وإذا كان سلوك الجناح من الانحرافات فليست كل سلوكيات الانحراف جناحاً. أما الطفل المشرد أو المتشرد فهو الذي لا مأوى له ويترك مهملاً في الشوارع بلا رعاية ولا حماية. ويضاف إلى هذا الحدث المارق عن سلطة الأسرة والمدرسة فالجانحون والمنحرفون والمشردون والمارقون فئات مختلفة من الأطفال والمراهقين الذين في حاجة إلى رعاية وحماية وقد وضعت دول كثيرة تشريعات تنظم رعاية هذه الفئات تعرف بقوانين الأحداث التي تهدف إلى توفير الرعاية والحماية لهذه الفئات من الأطفال والمراهقين.